اتصلت بوزير الداخلية قبل اغتيالها.. وتعرضت لمحاولة اختطاف سابقة

من قتل أطوار بهجت.. ولماذا لم تفصح الجهات الرسمية عن آثار التعذيب على جسدها؟

بغداد ـ من مراد الأعظمي:

لا تزال حادثة اغتيال الصحافية العراقية الشابة أطوار بهجت تثير الكثير من التساؤلات بشأن هوية المتورطين في ذلك، وبشأن الجهة التي يمكن أن تستفيد من عملية قتل صحافية عراقية، كانت في طريقها لتغطية واحد من أبرز الأحداث التي كادت أن تنزلق بالعراق إلى أتون حرب أهلية، سعى الكثير من أبنائه إلى تجنبها.

اغتيلت أطوار بهجت، واثنان من زملائها، في يوم عراقي ملتهب، ومضت أسابيع على الواقعة دون أن يجاب على الأسئلة، طالما أن الحقيقة هي الضحية الأولى، في حالات كهذه.

لكن ملف أطوار بهجت قادر، بما يتوفر له من إشارات ودلالات قابلة للمقارنة والتحليل، لأن يقاوم محاولة إيداعه في أدراج النسيان، أو إبقائه أحجية مستعصية على الحل، في العراق الجديد. فما هي القصة؟

أطوار من الصعود الإعلامي

أطوار لمن لا يعرفها، صحافية عراقية درست في قسم اللغة العربية، في كلية الآداب بجامعة بغداد. وتخرجت في عام 1998، لتمارس بعد ذلك عملها الإبداعي في كتابة الشعر.

وكانت الشابة العراقية المتفتحة على الحياة الثقافية تتردد على مبنى اتحاد الأدباء في بغداد كل أربعاء، حيث الأمسية الأدبية الثابتة. بعد ذلك عملت في مجلة «ألف باء»، وفي الصفحة الثقافية تحديدا. هي مثقفة إذن، وليست مجرد مزاولة نمطية لمهنة المتاعب. وفي ما بعد عملت بهجت في عدد من الصحف اليومية والأسبوعية، التي كانت تصدر إبان حكم الرئيس العراقي السابق، صدام حسين.

لم يعرف عن أطوار أنها كانت تميل إلى أفكار البعث، أو أنها انتمت إليه. كما لم يعرف عنها ميلها إلى أي من الاتجاهات الحزبية، التي ظهرت على الساحة العراقية بعد الاحتلال. وقد عملت أولا في قناة «العراقية» الفضائية، إلا أنها بعد أن شعرت أن المحطة لا تعكس عراقيتها، عملت أطوار بهجت مع أبرز جهتين في الفضائي الإعلامي العربي المرئي، أي قناة «الجزيرة» الفضائية، قبل أن تنتقل إلى قناة «العربية» الفضائية، وهما قناتان تتمتعان بمعدلات متابعة داخل العراق تتفوق باستمرار على نظيراتها العراقية متفرقة الألوان والأهواء والارتباطات.

إلا أن الأمر لم ينته إلى مجرد صعود لنجم إعلامية شابة تمارس عملها برصانة. فقد كان على أطوار بهجت أن تدفع ضريبة باهظة بآلامها ودمائها وروحها، في المنعطف الأخير مع ملاحقة أطراف الحقيقة، في حقل الأشواك العراقي.

ورغم مضي نحو الشهر على انتزاعها قسرا من صدارة المشهد الإعلامي العراقي، وأطياف الفضاء العربي: فإن تفاصيل اغتيال أطوار ظلت طي الكتمان، وربما يراد لها ذلك. فالرواية الرسمية التي تناقلتها وسائل الإعلام من خلال أجهزة الأمن العراقية بدت مختزلة ومحفوفة بالتساؤلات، وها هي تثير شكوكا متزايدة، خاصة وأن بعض الأجهزة الأمنية متهمة، وأكثر من أي وقت مضى، بالتورط في مخالفات جسيمة، تشمل ارتكاب عمليات اختطاف، وممارسة حفلات تعذيب مروعة، كان لا بد وأن تلقى نفيا متشابها من متحدثين لا يبدون الاستعداد لمناقشة البراهين والأدلة والاتهامات الموجهة إلى تلك الأجهزة، أو الشروع بفتح تحقيقات جادة ومسؤولة.

بداية القصة

يرى مراقبون ان ملاحقة أطوار بهجت بدأت بعد إحدى حلقات برنامج «الاتجاه المعاكس»، والتي استضيف فيها على قناة «الجزيرة» الفضائية، السياسي العراقي، فاضل الربيعي، الذي وجه انتقادات صوب المرجع الشيعي علي السيستاني. كان ذلك قبيل الانتخابات التشريعية العراقية الأخيرة، بيومين تحديدا، لتثور ضد القناة ثائرة بعض الجهات المحسوبة على دوائر عراقية، تعتبر أن انتقاد مواقف المرجع السيستاني: إنما هو انتقاد لها على ما يبدو.

في غضون ذلك: انطلقت حملة إعلامية حاشدة، تجندت لها كافة وسائل الإعلام، الخاضعة للدولة العراقية، ومنها جريدة «الصباح» والقناة الفضائية «العراقية». وطالبت تلك الوسائل إعلاميي قناة «الجزيرة» في بغداد، بالاستقالة من القناة، الأمر الذي فهم من قبل أطوار بهجت على أنه تهديد مبطن، ومدفوع بأقصى درجات الجدية، في ساحة لا يأمن فيها مزاولو المهن الإعلامية على العودة السالمة إلى مراقدهم مساء.

في أتون تلك الحملة الضاغطة: وجدت أطوار أنه لا مناص من تقديم «الاعتذار» عما بدر من «الجزيرة»، فقدمت استقالتها، من القناة عبر قناة «العراقية»، إلا أن ذلك، حسب من عايشوا ما جرى وراء الكواليس، لم يكن كافيا لطمأنتها من انتفاء الشرور التي تتربص بها، أو انفضاض خيوط الموت التي تحاك حولها بعناية.

لقد برهنت لها الأيام على صدق حدسها، فقد لاحقت أطوار الكثير من المضايقات، على الرغم من هذا الاعتذار، وعلى الرغم من الإبحار بعيدا عن «الجزيرة». كان ذلك كافيا لأن تضطر إلى تغيير محل سكناها صحبة والدتها وشقيقتها، والانتقال إلى منزل جديد. غير أن ذلك لم يجد نفعا في ساحة مكشوفة لفرق الموت الأسود.

كانت الإعلامية العراقية، التي ربما انتظرتها فرصة ارتقاء مهني مميزة لو كانت خارج بلادها: تؤكد باستمرار أن هناك من يتعقبها. وهي لا تتحدث عن رؤى منامية أو خيالات تفرضها الحالة المعنوية السائدة في الشارع العراقي: بل تشير تحديدا إلى سيارتين مدنيتين، حاولتا اختطافها، ولكنها تمكنت من الفرار، ليكون الأردن وجهتها هذه المرة، حيث عرضت عليها «الجزيرة» العمل من عمان، إلا أنها رفضت.

سامراء البداية والنهاية

التحقت أطوار بهجت بالعمل في قناة «العربية»، رغبة منها في إيصال الحقيقة، كما تقول، وهي الحقيقة ذاتها التي ذهبت ضحيتها. ففي إحدى المهام التي أوكلت إليها، وهي إعداد تقرير لبرنامج «مهمة خاصة»: اتجهت إلى كركوك، حيث موضوع التقرير، وبسبب الأوضاع المضطربة في المدينة، اضطرت إلى المبيت في السليمانية (منطقة كردية)، ومن ثم العودة إلى كركوك، لاستكمال المهمة، ومعها كادر من شركة «الوسن الإعلامية».

خلال ذلك أفاق العراقيون على تفجير قبة سامراء الذهبية، التي طالت مرقدي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري. فاتصل المعنيون من قناة «العربية»، من المكتب الرئيس بدبي، بالإمارات العربية المتحدة، حيث مقر القناة الرئيس، لحث مكتبهم في بغداد على الذهاب إلى هناك، وتغطية الحدث، ضمن الأسبقية المنشودة. وفي ما تمكن المراسلون الذكور من التملص من المسؤولية: اتصلت هدير الربيعي، مراسلة «العربية» بأطوار بهجت، لتخبرها بأن المسؤولين في القناة يريدون تغطية الحدث، وأن هدير ستذهب إلى النجف، فقالت أطوار نقلا عن «العربية. نت»، «أنا سأذهب إلى سامراء، ولا تذهبي إلى النجف، يكفي مكتب بغداد خسارة واحدة».

سرعان ما اتجهت أطوار إلى سامراء، محاولة الولوج إلى المدينة المغلقة، والتي تحيط بها قوات الأمن العراقية، فلم تفلح، فأرسلت تقريرها الأخير على الهواء مباشرة، من المدخل الشمالي للمدينة، والذي أنهته بعبارتها، «لا فرق بين عراقي وعراقي: إلا بالخوف على العراق».

ثم أجرت مقابلات مع بعض أهالي المنطقة، وهنا تشير المصادر إلى توصلها إلى معلومات حول حادث التفجير، مع وجود خلاف حول طبيعة تلك المعلومات، إن كانت تتعلق بالطرف المسؤول عن التفجير أم عن ملابسات تنفيذه.

بعد هذا الذي بدا لها كسبا إعلاميا: حاولت أطوار بهجت دخول المدينة المغلقة مرارا، وأجرت عدة اتصالات، فاتصل بها وزير الداخلية، بيان جبر صولاغ، وكان وقتها موجودا في سامراء، وقال لها انتظري مكانك، ستأتيك سيارة تدخلكم إلى المدينة.

بعدها بلحظات: يتم التبليغ عن اختطاف أطوار وزميليها، وهروب الرابع أنمار عاشور، ورواية ركيكة يرويها الزميل الهارب، على مقربة من نقطة تفتيش يقيمها مغاوير الداخلية.

عثر على الثلاثة مقتولين على أحد الطرق الخارجية القريبة من سامراء، بعد الساعة الواحدة صباحا. لقد كانت صدمة بالغة هزت المشاعر، فالصحافية الصاعدة، التي كسبت احترام المشاهدين من شتى المربعات: التحقت بسجل شهداء المهنة، ولتكون أبرز شهيداتها.

أعلن على الملأ خبر اغتيال الإعلاميين الثلاثة، صباح الخميس 23 شباط (فبراير) الماضي، واتجهت الجثامين الثلاثة من سامراء، حيث وصلت بغداد قرابة الساعة الخامسة مساء بسبب إغلاق سامراء، واضطراب الطريق.

وهكذا تأجل التشييع إلى اليوم التالي، الجمعة 24 شباط (فبراير) 2006، بعد الساعة السادسة مساء، ريثما ينتهي حظر التجوال المفروض على بغداد، غير أنه تقرر أن يفرض الحظر من جديد بعد الساعة الثامنة مساء، وهو ما يجعل من المتعذر على أي أحد الذهاب إلى مقبرة الكرخ، مكان التشييع المحدد، والعودة في ظل الظروف الأمنية السائدة حينها، ثم العودة قبل دخول وقت الحظر.

فتم تغسيل أطوار بهجت وتكفينها، على أن يتم التشييع صباح السبت 25 شباط (فبراير) 2006، في الساعة الثامنة صباحا، حسب ما أعلنته قناة «العربية».

ولكن لم يمض الليل حتى أعلنت الحكومة عن تمديد حظر التجوال يوما آخر، لذا كان من المقرر أن يتم تأجيل التشييع إلى ما بعد انتهاء الحظر، أي في الساعة الرابعة عصرا.

وما ان طلع الصباح، حتى طرق الباب «مغاوير الداخلية»، ومعهم بعض الشخصيات المحسوبة على أطراف وقوى سياسية بعينها، ليقرروا بدء التشييع قسرا، وسط رفض الأقارب، لعدم تمكنهم من الحضور بسبب الحظر، وهنا قال المغاوير «إن السيد عبد العزيز الحكيم أرسلنا، ويقول ندفنها الآن».

هكذا بدأ التشييع، وسار موكب الجنازة، وحدث ما حدث من اشتباكات مع «مغاوير الداخلية». ونتيجة للاشتباكات، تجدد رفض ذوي أطوار بهجت مرافقة قوات الأمن لموكب التشييع، غير أن المسؤولين الأمنيين أصروا، مشددين على أنهم حضروا بأمر من وزير الداخلية.

وبعد اتصالات عدة لإرسال تعزيزات أمنية، وكما شاهد كثيرون في البث المباشر لبعض الفضائيات، لأحداث إطلاق النار: أعلن وزير الداخلية بيان جبر صولاغ، أن هذه المنطقة ليست تابعة لوزارة الداخلية، وإنما هي تابعة لوزارة الدفاع. وهكذا تم سحب سيارات الداخلية، لتسير الجنازة إلى أن انتهت عملية الدفن.

أطوار بهجت السامرائي، وبحسب مصادر طبية كشفت على جثتها: لم يتم إنهاء حياتها وزميليها، عدنان خير الله، وخالد محمود، من مدينة الفلوجة، بطريقة «اعتيادية». فالاختطاف جاء ملحقا بحفلات من التعذيب والتنكيل المروعة، وفق الآثار التي عثر عليها في الجثث الثلاث.

فأطوار بهجت، ودون الاسترسال في التفاصيل المروعة التي وردت مشفوعة بالتأكيدات، واجهت صنوف الضرب، والتثقيب بالمثقاب الكهربائي (الدريل) في مواضع عدة، وعمليات إحراق وتشويه وتمزيق متكررة، فضلا عن استخدام آلات حارقة خلال ذلك كله، قبل أن يطلق الرصاص في الرأس من الجهة اليسرى.

الشهيدة اطوار بهجت

جرى ذلك كله، ولم يكن بالوسع العثور على أية إشارة بشأنه في المصادر الرسمية العراقية التي تطرقت إلى واقعة قتل أطوار بهجت، وإلى كل ما تخللها من ملابسات، وإلى حقيقة التعذيب المروع الذي عانت منه.

وما هو أكثر إثارة، أن تلك الأساليب تحمل في الساحة العراقية بصمات محددة، وترتبط باتهامات أكثر تحديدا، أمكن تأكيدها مرارا في تقارير عدة، بل ولفت تقرير حقوق الإنسان الأخير لوزارة الخارجية الأمريكية (الصادر في آذار/ مارس الجاري) الأنظار إلى جديتها، عندما تحدث عن أنه «غالبا ما تصرفت عناصر من المليشيات الطائفية وقوى الأمن بصورة مستقلة عن سلطة الحكومة».

بلير متمسك بصحة قراره دخول الحرب وسترو يعترف باخطاء بعد الغزو

محللون: استراتيجية الأمن القومي الامريكية الجديدة تعني نهاية «ثورة بوش»

لندن ـ «القدس العربي»:

تدخل الحرب على العراق عامها الرابع، ومعها بدأ الجيش الامريكي ما اسماه اكبر عملية عسكرية له منذ الغزو وبمشاركة مع قوات من «مغاوير» وزارة الداخلية، وهي القوات المتهمة بعمليات ضد المدنيين العراقيين، والهدف من العملية الجديدة في سامراء التي تحكم الجيش بمعلوماتها وطريقة اخراجها اعلاميا، هو استعادة زمام المبادرة في داخل امريكا بعد تراجع شعبية الادارةالامريكية، حيث وصلت شعبية الرئيس جورج بوش الى ادنى مستوياتها. ويبدو ان العملية الجديدة هي جزء من محاولة بوش وادارته اظهار انهم يتحكمون في الاحداث، واظهار ان القوات العراقية التي يدربها العسكريون الامريكيون قادرة على الاعتماد على نفسها، مما يعطي ادارة بوش المبرر لتقليل اعداد القوات المتواجدة الان في العراق والتي تزيد عن 140 الف جندي.

وعشية ذكرى الغزو نشرت الادارة الامريكية نسخة عن استراتيجية الامن القومي التي قدمها مستشار بوش لشؤون الامن القومي، ستيفن هيدلي، وبدت الوثيقة هادئة النبرة، بشكل دعا الكثير من المعلقين للحديث عن انها تعبر عن رؤية وزيرة الخارجية كوندوليزا رايس، ففي الوقت الذي اكدت فيه ادارة بوش على حقها لاستخدام استراتيجية الضربات الوقائية ضد الخطر المحتمل، الا انها تحدثت عن تحالفات جماعية للتصدي للاخطار القادمة من الارهاب وانتشار الاسلحة النووية.

وتعتبر الاستراتيجية الجديدة الاولى منذ حرب العراق، حيث تميزت لهجة الاستراتيجية بالحذر، مما دعا عددا من الديمقراطيين لوصف الوثيقة بانها تعبير عن نهاية «ثورة بوش»، وفي الوقت الذي اكدت فيه الوثيقة على الخطر الايراني، الا انها اعطت اولوية للجهود الدبلوماسية من اجل منع ايران من الحصول على السلاح النووي، وتطوير مشاريعها النووية التي تقول انها لاغراض مدنية.

وتؤكد الوثيقة على ضرورة انجاح الجهود الدبلوماسية اذا اريد تجنب الحرب. وجاء الاعلان عن الوثيقة في الوقت الذي عبرت فيه ايران عن استعدادها لفتح حوار مع امريكا فيما يتعلق بدورها في العراق، وقال هيدلي ان امريكا «مستعدة للتحاور مع ايران» فيما يتعلق بدورها السري في العراق.

وقال هيدلي ان سياسة الضربات الوقائية لا زالت في مكانها، ويجب ان تظل كما هي لمواجهة التحديات التي تهدد امريكا، وهي الاستراتيجية التي حددت في عام 2002 الا ان الحرب على العراق، وضعف المبررات التي قادت اليها مثل الفشل في العثور على الاسلحة الشاملة التي زعمت الادارة الامريكية ان العراق يملكها، ادت الى اعادة النظر في جدواها كما يقول نقادها.

وتقع الوثيقة الجديدة في 49 صفحة، ولكنها تعطي الدبلوماسية دورا كبيرا واولوية. ويعتقد احد مستشاري الرئيس الامريكي السابق بيل كلينتون ان نشر استراتيجية الامن القومي الجديد يشير الى نهاية «ثورة بوش»، بل اعتبر المسؤول ان الوثيقة تسجل عودة الادارة الامريكية الى مبادئ السياسة الخارجية التي ارستها ادارة بيل كلينتون. وتساءل المسؤول عن السبب الذي ادى بالعودة عن استراتيجية الضربات الوقائية، مجيبا ان الواقعية السياسية اظهرت للادارة حدود المناورة التي تتمتع بها.

واشارت صحيفة «نيويورك تايمز» الى ان الوثيقة الجديدة اثارت نقد عدد من الواقعين السياسيين في داخل الحزب الجمهوري الذين يضعون انفسهم ضد المحافظين الجدد، حيث يرى هذا التيار ان ادارة بوش في محاولتها لنشر الديمقراطية والحرية في دول العالم تقوم بهذه المهمة على حساب المصالح الامريكية، ويضم الفريق المعارض لسياسة بوش النائب تشاك هاغيل النائب عن نبراسكا، وريتشارد لوغار عن انديانا، وهنري هايد النائب عن ولاية الينويز، اضافة الى هنري كيسنجر، وزير الخارجية السابق، وبرنت سكوكروفت. وتقول الصحيفة ان انتصار حماس في الانتخابات الفلسطينية هز هذا الفريق.

وفي الوقت الذي يرى فيه فريق يؤيد سياسة الدفع باتجاه الديمقراطية مثل جون ماكين النائب عن ولاية اريزونا وسام براونباك، النائب عن كنساس، ويقولون ان نتائج الانتخابات افضل من عدمها، الا ان الفريق المعارض لهذه السياسة يقول ان المتطرفين المعارضين للديمقراطية يحققون نجاحات عبر صناديق الاقتراع، كما يقولون ان سياسة القبضة الحديدية التي استخدمتها الادارة مع دول حليفة، باكستان، ومصر والسعودية اضافة لنقد الصين، تجعل من الصعوبة بمكان الحصول على دعم هذه الدول في الحرب على الارهاب.

كما ان العنف المتزايد في العراق، ادى الى التقليل من شأن نشر الديمقراطية في هذا البلد وحتى امكانية تحقيقها. ويقول هاغيل «لا يمكن فرض الديمقراطية علي دولة ليس لديها تاريخ، تراث او ثقافة ديمقراطية».

بالنسبة للتيار المحافظ الذي تدافع عنه صحيفة «ويكلي ستاندرد»، ومحررها ويليام كريستول، فان ما ادى الى النقد الشديد لهذه الاستراتيجية هو تعثر الحرب في العراق مع تأكيده ان بناء ديمقراطية في العراق ليس امرا سهلا، ومع ذلك لا ينفي ان الداعمين لنشر الديمقراطية، يرون ان سوء ادارة بوش للحرب في العراق اثر على مصداقية دعوته لنشر الحرية والديمقراطية.

في اتجاه اخر تمسك توني بلير رئيس الوزراء البريطاني بدعمه للحرب وقال انه سيقوم بالامر نفسه، فيما قال وزير خارجيته جاك سترو ان قرار الحرب صائب الا ان الاخطاء ارتكبت بعد الحرب، كما جاء في حديث له مع صحيفة «التايمز»، واكد سترو ان العراق الان في وضع افضل عما كان عليه اثناء حكم صدام حسين.

وقال سترو، ما توفر لدينا الوضع بعد الحرب كان أكثر تعقيدا مما خططنا له. قائلا «لقد شعرت بالقلق حينها من مدى الحملة لاجتثاث حزب البعث في العراق»، وهو القرار الذي اتخذه بول بريمر الذي أرسله الرئيس بوش لإدارة العراق بعيد نهاية الحرب. حيث قال ان ذلك القرار «كان خطأ كبيرا، إضافة إلى قرار حل الجيش العراقي. فذلك حرم العراق من المديرين ذوي الخبرة، وعزل المعتدلين من السنة، وضمن حصول الشيعة والأكراد على المناصب في الحكومة والجيش».

وقال سترو بأنه لن يكون للقوات البريطانية وجود في العراق بعد ثلاث سنوات من الآن. كما أقر بأن الحرب أثارت المشاعر المعادية لامريكا في بريطانيا لكنه أضاف: «تلك المشاعر كانت هناك في السابق، لكنْ من مصلحة بريطانيا الخاصة أن تكون قريبة من الولايات المتحدة، التي ستبقى القوة المهيمنة على العالم في المستقبل المنظور».

واشارت صحيفة «الاندبندنت» الى ما قاله بلير «لو قدر لي لكررت فعل كل ما فعلت مرة أخرى»، في إشارة إلى أنه لا يشعر بالندم عن المشاركة في العراق.

وقالت الصحيفة ان بلير الذي قال ان «الله سيحاسبه على قراره» سيتوجه إلى واشنطن الشهر المقبل لمقابلة الرئيس جورج بوش، حيث سيناقشان قضايا منها الإهانة المتواصلة للقانون الدولي التي مثلها معتقل غوانتانامو الأمريكي، الذي دعا بلير واشنطن إلى إغلاقه، والاضطرابات في الأراضي الفلسطينية التي أثرت على مصداقية رعاة السلام، والتوتر المتجدد مع إيران، ومطالب الشعبين البريطاني والأمريكي بسحب القوات من العراق. ويخطط بلير لإلقاء كلمة الأسبوع المقبل لتبرير الحرب، وللرد على الانتقادات المتزايدة داخل حزبه بخصوص مواصلة احتلال العراق.

توتر العلاقات الايرانية الامريكية يتفاقم بعد مرور ثلاث سنوات على احتلال العراق

■ طهران ـ ا ف ب: تعزز النفوذ الايراني في الشرق الاوسط بعد مرور ثلاث سنوات على سقوط نظام الرئيس العراقي السابق صدام حسين بيد ان تطورات الملف النووي الايراني قد تزيد من احتمال استهداف ايران من قبل الولايات المتحدة.

وكانت طهران اعلنت في آذار (مارس) 2003 بعد عشرة ايام على دخول القوات الامريكية الى بغداد انها لن تدعم «حكومة يضعها الامريكيون في السلطة» بل ستتعاون مع «حكومة تنبثق عن انتخابات شعبية».

ويمكن للجمهورية الاسلامية ان تكون راضية عن نتائج الحملة الامريكية في العراق بعد مرور ثلاث سنوات على انطلاقها.

فبعد صدور نتائج الانتخابات العراقية التي جرت في 15 كانون الثاني (ديسمبر) 2005 رأى الرئيس الايراني السابق علي اكبر هاشمي رفسنجاني انها شكلت «نصرا» لايران ايضا.

ويعود السبب في ذلك الى ان التنظيمين الشيعيين الرئيسيين اللذين شكلا الائتلاف العراقي الموحد وحققا نصرا كبيرا في الانتخابات يرتبطان بعلاقات تاريخية مع ايران.

والتجات قيادة حزب الدعوة الذي ينتمي اليه رئيس الوزراء العراقي المنتهية ولايته ابراهيم الجعفري الى ايران خلال الثمانينات من القرن الماضي في ذروة احتدام الحرب العراقية ـ الايرانية.

كما تم الاعلان عن تشكيل المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق اكبر تنظيم شيعي عراقي في طهران عام 1982.

وما قد يكون اخطر من ذلك بالنسبة للامريكيين هو التقارب المعلن بين طهران والزعيم الشيعي العراقي المتشدد مقتدى الصدر.

وكان الصدر اعلن خلال زيارته الى طهران في كانون الثاني (يناير) ان ميليشيا جيش المهدي التابعة له «ستقف الى جانب» اي بلد مسلم مجاور يتعرض للاعتداء في اشارة واضحة الى احتمال حصول هجوم امريكي على ايران.

وبالاضافة الى كونها جارة العراق، ترتبط ايران بعلاقات مميزة مع شيعة هذا البلد لاسباب دينية.

وعزز التدخل الامريكي نفوذ الطائفة الشيعية في منطقة يسيطر عليها السنة تقليديا.

واخلى سقوط نظام صدام حسين الساح امام ايران لا سيما وان العراق الذي يقف على عتبة الحرب الاهلية يعيش حالة من الضعف.

وتتمتع ايران بنقاط قوة عديدة منها حجمها الديموغرافي الذي يصل الى 69 مليون مواطن، ومخزونها النفطي الذي يضعها في المرتبة الثانية عالميا بين الدول المنتجة للبترول في المنطقة، وموقعها الاستراتيجي الذي يتقاطع مع العالم العربي غربا او الاسيوي شرقا ومجال النفوذ الروسي شمالا.

بيد ان تواجد القوات الامريكية في العراق يشكل تهديدا للنفوذ الايراني الصاعد.

فايران قد تكون الهدف الثاني المحتمل للولايات المتحدة الامريكية التي اسقطت نظام صدام حسين بعد ان رات فيه الخطر الاكبر الذي يهدد استقرار المنطقة بسبب الاشتباه بامتلاكه اسلحة دمار شامل. وصرحت وزيرة الخارجية الامريكية كوندوليزا رايس في 11 آذار (مارس) ان «ايران هي التحدي الاكبر الذي نواجهه».

وعللت رايس هذا التحليل بالاشارة الى اعتماد ايران «سياسة تهدف الى توجيه الشرق الاوسط في وجهة معاكسة لتلك التي نتمنى ان يسير عليها». واشارت الى اصرار ايران على «تطوير اسلحة دمار شامل متحدية بذلك ارادة المجتمع الدولي» واصفة النظام الايراني بانه «المصرفي المركزي للارهاب».

ولم تمنعها هذه التصريحات من الاقرار في المؤتمر الصحافي المشترك الذي عقدته الجمعة مع رئيس الوزراء الاسترالي جون هوارد خلال زيارتها الى استراليا ان المحادثات مع طهران حول الوضع في العراق «قد تكون مفيدة» مشيرة الى ان الامر لا يتعلق بمفاوضات.

واضافت «لكن هذه المحادثات محددة بمسائل مرتبطة بالعراق». وكانت ترد بذلك على سؤال حوال احتمال توسيع هذه المحادثات لتشمل الملف النووي الايراني.

ويحتل هذا الملف موقع الصدارة في الاهتمامات الامريكية في وقت يناقش الاعضاء الدائمون في مجلس الامن سبل اقناع ايران بالتخلي عن برنامجها النووي الحساس.

وعبر المرشد الاعلى للثورة الاسلامية في ايران علي خامنئي عن رأي الايرانيين عندما قال ان «الامريكيين يتذرعون (...) لاستهداف النظام الاسلامي».

وحذر مسؤول ايراني لم يكشف عن هويته «اذا هاجمنا الامريكيون سنضرب مصالحهم في كل مكان، داخل المنطقة وخارجها» مما يعني ان العراق سيكون احدى ساحات الحرب الايرانية ـ الامريكية اذا ما اندلعت.

الشماش مملكة في وسط الخرطوم لها قادتها ولغتها وطبقاتها

الخرطوم ـ «القدس العربي»

ـ من كمال حسن بخيت:

الشماش ومفردها (شماشي) اسم اطلقه السودانيون على المشردين وأطفال الشوارع الذين فاق عددهم المئة الف طفل حسب احصائيات بعض المنظمات الطوعية وتتراوح اعمارهم ما بين 5 ـ 18 عاماً واتى الاسم من ان هؤلاء الاطفال يقضون جل وقتهم تحت اشعة الشمس الحارقة في الخرطوم وينتشر الشماش في عدد كبير من مدن السودان الرئيسة كودمدني وبورتسوان وعطبرة والابيض الا ان اكبر الاعداد تقيم في شوارع الخرطوم.

«القدس العربي» اقتحمت مملكة الشماش بالخرطوم وغاصت في مجتمعهم الغريب وخرجت بنظام اجتماعي متكامل ومنظم يضم ابناء الشوارع الذين رمت بهم ظروف اسرهم في الشارع.. الحرب الاهلية في جنوب السودان كانت الرافد الرئيسي لابناء الشوارع بالاضافة للظروف الاقتصادية لبعض الاسر وخلال جولتنا في الخرطوم اتضح لنا بان (الشماش) ينقسمون الى ثلاث فئات من حيث سبب التشرد فالفئة الاولى وهي الرئيسية هم من فقدوا اسرتهم بكاملها في الحرب ووجدوا انفسهم بلا عائل فاتجهوا الى الشارع الفئة الثانية نزحت الى العاصمة من بعض الولايات التي تشهد ظروفا اقتصادية سيئة اما الفئة الثالثة فهم من تركوا اسرهم التي تقيم في اطراف الخرطوم وفضلوا العيش في الشارع وايضا يرجع ذلك لظروف الاسرة الاقتصادية وبعض المشاكل الاجتماعية التي تضرب العديد من تلك الاسر كما يشكل الاطفال اللقطاء اضافة اخرى للشماش.

وينقسم الشماش الى مجموعات معروفة ولكل مجموعة زعيم ونطاق محدد في العاصمة وتضم المجموعة اولادا وبناتا والاخيرات ازدادت اعدادهن في الاونة الاخيرة يقضون يومهم في البحث عن الطعام وسط مقالب القمامة او بالقرب من المطاعم حيث يأكلون ما يجود به مرتادو المطاعم أو بقية ما يأكلونه بعد ان يخطفونه نسبة للرقابة المشددة عليهم من عمال المطاعم وبعد ان يسدوا رمقهم ينتشرون في الشوارع حسب توزيع يحدده زعيمهم ويمارسون السرقة والنشل ويعودون به الى زعيمهم الذي يقسم الغنائم بينهم بعد ان يأخذ نصيب الاسد بالطبع وخلال هذه الجولة النهارية لا يخلو فم احدهم او احداهن من قطعة قماش مبللة بالبنزين الذي يغيبهم عن الوعي وفي حالة تحسن الظروف المادية يشترون (السليسيون) وهو المادة المستخدمة في اصلاح اطارات السيارات ويطلقون عليه اسم (السلس) والذي يستخدمونه كمخدر عبر الاستنشاق.. وينقسم مجتمع الشماش الى طبقات ويرأسهم اقدمهم في الشارع وأحياناً اكبرهم أو أقواهم اما الذين يدخلون الى هذه المملكة حديثا فهم في ادنى الطبقات ويتم تعليمهم اساليب النشل وفنون السرقة.

ومع مغيب الشمس يتجهون الى دور السينما ليشاهدوا الافلام المعروضة ويجمعون ثمن تذاكر الدخول مما جمعوه اثناء النهار وحتى دخول السينما يتم ترتيبه بواسطة الزعماء وفي الليل ينامون في مصارف الامطار ومظلات المحلات التجارية في الخرطوم.

وللشماش لغتهم الخاصة والتي يسمونها (الرندوك) وتضم مصطلحات اصبحت معروفة للكثيرين من خارج مملكتهم مما اضطرهم الى ادخال تعديلات عليها حتى يتميزوا بالخصوصية وتسربت لغتهم الى المجتمع السوداني بجميع طبقاته حيث اصبحت مستخدمة في ارقى المجتمعات ومن هذه الكلمات (الجلك) وتعني الوالد و(شتت) وتعني اذهب و(داقس) وتعني مغفل أو لا يعلم شيئاً و(فردة) وتعني صديق وكلمات اخرى كثيرة ذابت في اللغة العربية واصبحت معروفة على نطاق السودان. هذا الاقتحام لخصوصية لغتهم جعلهم يبتدعون لغة اخرى وهي ايضا بدأت تتسرب الى المجتمع وتعتمد على تغيير مواضع الحروف في الكلمة فاذا اراد احدهم أن يقول أنا ماشي فيقول (نا شامي) اما اذا ظهر رجل الشرطة فيقولون (السوليب) وهي تغيير لمواضع حروف كلمة (البوليس) واثناء متابعتنا لحديثهم فهم لا يتلعثمون ابدا وتجدهم يتحدثون بسرعة وبطلاقة ولا تفهم شيئاً مما يقولونه.

ويتميز (الشماش) بذكاء حاد وقدرات ابداعية حيث يرسمون في براميل القمامة رسوماً بالفحم والطباشير غالباً ما تعكس بعضاً مما يشاهدونه في السينما كأبطال الافلام ودائماً ما تاتي هذه الرسومات دقيقة ومعبرة وكأنهم محترفون مما يجعل الكثير من المارة يتوقفون عندها ويتأملونها بشيء من الدهشة والاعجاب بينما يكون الفنان متكئاً بالقرب منها وفي فمه قطعة قماش مبللة بالبنزين.

الحكومة السودانية ظلت تحارب ظاهرة اطفال الشوارع بشتى السبل واقامت لهم معسكرات ومراكز تقويمية وتدريبية في اطراف الخرطوم يتم مطاردتهم وجمعهم وادخالهم الى هذه المراكز الا ان الشماش نادراً ما يبقون في هذه المعسكرات وما يلبثون ان يعودوا الى الشارع مرة أخرى.

قادة ميدانيون بحركات التمرد بدارفور يلتقون باسمرا دبلوماسيين وضباط مخابرات إسرائيليين

الخرطوم ـ «القدس العربي»:

شهدت السفارة الإسرائيلية بالعاصمة الاريترية اسمرا الاربعاء الماضي لقاء جمع دبلوماسيين إسرائيليين واريتريين باثنين من كبار قادة حركة التمرد بدارفور (المجلس الثوري لغرب السودان) أمس الأول وقالت ان وفدا من متمردي دارفور ترأسه القائد عيسى بحر الدين بحضور موسى حسن تيراب وإدريس حامد سردوب التقى بوفد من المخابرات الإسرائيلية (الموساد) بمشاركة نظيرتها الاريترية ونقل المركز السوداني للخدمات الصحافية ان اللقاء بحث ترتيبات تعيين مسؤول من الموساد للإشراف والمتابعة والتنسيق لعمل الفصائل السودانية المسلحة الناشطة من اريتريا. وفي حين امتنع ممثل حركة تحرير السودان باسمرا عن التعليق على النبأ أكدت مصادر دبلوماسية رسمية اريترية عقد اللقاء بمقر سفارة دولة العدو الصهيوني بالحي الدبلوماسي باسمرا وقال يماني قبراب المسؤول بالخارجية الاريترية ان اللقاء يأتي في اطار العمل الدبلوماسي وتواصل وزارة الخارجية الاريترية مع البعثات الدبلوماسية والقنصليات الأجنبية العاملة باريتريا نافيا أن يكون الاجتماع قد ناقش اية قضايا تتعلق بالسودان أو غيره وان اللقاء اقتصر فقط على الدبلوماسيين الاريتريين ونظرائهم الإسرائيليين مضيفا «من حقنا أن نجتمع مع بعثة اي بلد لديه تمثيل على أراضينا» نافيا استهداف بلاده للسودان وزعزعة امنه.